المحاضرة الرابعة: تطور مناهج التربية المقارنة:

من خلال السياق التاريخي، ميز الباحثون في التربية المقارنة تسلسل ثلاث مراحل في تطور الدراسات التربوية المقارنة وتتميز كل مرحلة بخصائص تعبر عن مدى نضج وتطور أساليب البحث المقارن كما أن لكل مرحلة روادها وهذه المراحل كالتالي:

أولا: مرحلة النقل أو الاستعارة (المنهج الوصفي):

يعود تاريخها الى العقد الثاني من القرن التاسع عشر 1817 حيث كان يعتقد أنه من الممكن أن ينقل المرء نظاما تربويا كاملا من بلد إلى آخر، وما يتبعه من تنظيمات وقوانين، وبناء على ذلك نقلت الدول الاوروبية المستعمرة كبريطانيا وبلجيكا وفرنسا نظمها التربوية بحذافيرها إلى مستعمراتها في إفريقيا وآسيا، لتجعل من سكان المستعمرات بريطانيين أو بلجيكيين أو فرنسيين، ومن أمثلة ذلك ما قام به كالفن ستو بزيارة المعاهد التعليمية في أوروبا وكتب تقريرا عن التعليم في بروسيا ونشره سنة 1827 وامتدح فيه النظام التعليمي البروسي ، بل واعتقد في إمكانية نقله الى الولايات المتحدة الامريكية ، كما يظهر منهج الاستعارة الذى تتصف به هذه المرحلة من مراحل تطور التربية المقارنة في الكتاب الذى أصدره سيلى بعنوان " نظام التعليم العام في ألمانيا وفائدته بالنسبة لأمريكا ". واهم روادها مارك أنطوان جوليان الباريسي و"فيكتور كوزان "في فرنسا, و"هوراس مارن" و"هنري برنارد" في أمريكا و "ماثيو أرنولد "في انجلترا , و"أوشنسكي "في روسيا وقد كان المنهج المتبع في هذه المرحلة هو المنهج الوصفي الذي يقتصر على وصف النظم التعليمية , دون التحليل المعمق في تحليل جذوره وأصوله ,ودون التصدي لتفسيره أو نقده والتعرف على مشكلاته . فكانت فقط تقارير وصفية نحتوي على معلومات عن النظم التعليمية دون التوصل إلى القواعد والمبادئ العامة

وقد تميزت هذه الكتابات في هذه المرحلة بما يلي:

-أنها كانت وصفية في معظمها – أنها لم تتضمن نقداً علمياً للنظم التعليمية، بل في معظم الأحيان تتضمن وصفاً فيه الكثير من المدح والإطراء -كان غرضها نفعياً، لاستعارة بعض جوانب النظم التعليمية الأجنبية لبلد ما، لإصلاح أو تعديل نظاماً تعليمياً آخر – كان الباحثون في دراساتهم يفترضون في أذهانهم قيماً ومفاهيم مسبقة عن النظم التعليمية الأجنبية، وعن عمليات الإصلاح التعليمية.

وقد تميزت في هذه المرحلة بعدد من الرواد منهم:

أنطونيو جوليان الرائد الأول لهذه المرحلة وقد استخدم الاستفتاء وجمع الحقائق والملاحظات واستخدام الجداول التحليلية والتصنيف واستخلاص المبادئ والقواعد وكان غرضه اصلاح التعليم بفرنسا

– ومن أوائل من قدم دراسة ميدانية تحمل خصائص هذه المرحلة هو جريسكوم الأمريكي إذ وضع تقريرا عن نتائج زيارته لأقطار أوروبية وكان الغرض توفير خبرات ومعلومات عن نظمها التعليمية للاستفادة منها.

– فيكتور كوزان (1867-1792): كان استاذ الفلسفة بجامعة السوربون ومدير مدرسة المعلمين العليا بفرنسا كلفته حكومته بدراسة نظام التعليم في بروسيا لكي تستفيد منه في إصلاح أجهزتها التعليمية. وانتهى بتوضيح

بعض الأفكار التي يمكن الاستفادة منها في التعليم الفرنسي، مع تأكيده أهمية الظروف والخصائص للمجتمع الفرنسي. وكانت طريقته تتمثل في ثلاث خطوات أولا دراسة ما يمكن تجميعه من المواد المكتوبة عن النظام التعليمي المراد دراسته، ثم زيارة نظام التعليم وملاحظته في بلده على الطبيعة للتحقق من الحقائق التي توصل إليها، ومن ثم اقتراح ما يراه مناسبا لنظام تعليمي آخر، واعتمد الانتقاء المعرفي والاستعارة الثقافية المنتقاة واعتمد المنهج الوصفي واستخلاص ما هو مناسب لحصوصية المجتمع وكان غرضه اصلاح التعليم الابتدائي بفرنسا.

هوارس مان(1796–1859) : هو مربي أمريكي زار أوروبا ستة أشهر، زار خلالها انجلترا واسكتلندا وايرلندا وهولندا وألمانيا , ودون مشاهداته عن النظم التعليمية في تلك الدول من حيث تنظيم المدارس وطرق التدريس وأثمرت جهوده في صدور أول قانون للتعليم الالزامي في إمريكا عام 1852. واعتمد أسلوب المقارنة ودراسة الظاهرة التربوية في إطارها التاريخي لبناء المستقبل وهدف إلى علمنة المدارس وزادة مدة المدرسة الابتدائية.

– هنري برنارد(1811–1900): أحد معاصري هوراس مان وكان سكرتير لمجلس التعليم في ولاية كونيكتيت الامريكية وقد زار أوروبا وقدم بيانات إحصائية عن النظم التعليمية المختلفة وبعض المعلومات التاريخية الوصفية ذات الطابع المقارن ونشرها ويعتبر من دارسي التربية المقارنة المهمين في القرن التاسع عشر واعتمد الأسلوب الوصفي التاريخي والأسلوب الاحصائي المقارن وكان الغرض تحسين إعداد معلمي المرحلة الابتدائية.

– ماثيو ارنولد(1822–1888): مربي انجليزي كتب تقرير مشهور "المدارس والجامعات في أوروبا" وكتاب "التربية الديمقراطية "اعتمد أسلوب المقارنة بين التعليم كما في التعليم في إنجلترا والتعليم في فرنسا بالإضافة إلى العديد من الدراسات والمقارنات، ودعى لتنظيم التعليم في إنجلترا على غرار التعليم الأوروبي ليصبح في متناول الطبقات الاجتماعية الدنيا، ودعى لتسجيل الملاحظات الدقيقة حول شخصية الامة وطابعها المتميز وهدف لتنظيم التعليم الثانوي .

أوشنسكي(1824–1870) : روسي كان يعمل أستاذا للقانون ,استطاع أن يعقد مقارنات واعية في الستينات من القرن التاسع عشر حول نظم التعليم الأوروبية، عرضها بدقة وتحديد ,واعترف بالفروق القومية، وأكد عدم نقل التقاليد القومية التي تؤثر في التربية، وان أساس إصلاح التعليم يتوقف على رأي الشعب، كما كان لأحكامه التقييمية تأثيرا في تطوير المدارس الشعبية ومدارس المدن الصغيرة في روسيا، .

– مرحلة القوى العاملة الثقافية (المنهج التاريخي):

بدأت هذه المرحلة في النصف الأول من القرن العشرين وفيه اتجه اهتمام المشتغلين بالتربية المقارنة نحو ربط النظم التعليمية بما يدور في مجتمعاتهم من أمور وما تتعرض له أوضاع التربية والتعليم من مؤثرات وما تخضع له من ظروف تواجهها ومدى التفاعل بين الظواهر الاجتماعية والنظم التعليمية. وكانت السمة المميزة للدراسات التربوية في هذه المرحلة هي الاهتمام بشرح أوجه التشابه والاختلاف بين النظم التعليمية المختلفة والقوى والعوامل التي تقف ورائها.

فهي مرحلة تحليلية تفسيرية للعوامل الثقافية من عوامل تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية، لذلك

اتسمت هذه المرحلة بالاهتمام المتزايد بتفسير النظم التعليمية في ضوء القوى والعوامل المؤثرة في تشكيلها والتأكيد المتبادل على أهمية بعض هذه العوامل دون إغفال لدور بقية العوامل الأخرى.

ويعتبر مايكل سادلر من أشهر علماء التربية المقارنة في هذه المرحلة وهو مؤسس هذه المرحلة ورائدها، وتبع طريقه كلاً من اسحق كاندل في الولايات المتحدة الأمريكية، ونيكولاس هانز وجوزيف لاواريز في انجلترا.

ومن أعلام هذه المرحلة:

مايكل سادر الانجليزي: وهو من أوائل من دعى على اعتماد هذا المنهج في الدراسات وأوضح أهمية القوى والعوامل الثقافية والتاريخية في المجتمع ومدى تأثيرها في تحديد معالم النظام التربوي التعليمي وتوجيهه وخرج بذلك عن المنهج الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر وانتهج منهجاً يميز الدراسات التربوية المقارنة في النصف الأول من القرن العشرين. كما يؤمن بأن النظم التعليمية لذا طابعها الخاص والمميز ولا يدكن نقلها من مكان لآخر دون النظر إلى الاعتبارات المختلفة، وتكمن عظمة سادلر في أنه أضاف البعد الاجتماعي إلى البعد التاريخي في دراسة النظم التعليمية

كاندل: تأثر بسادر الذي أرسي قواعد واسس البحث المقارن في ضوء العوامل المؤثرة وكان مهتما بدراسة العلاقة بين النظم التعليمية والنظم السياسية في عدة مجتمعات خاصة مع تزايد تأثير القومية وظهور بوادر الدولية واستخدم المدخل التاريخي لتحليل القوى والعوامل الثقافية وبذلك تميز منهجه بـ:

– الاساس الوصفي المعلوماتي والتسجيلي لنظم التربية والتعليم –الأساس التاريخي الوظيفي بالتركيز على العوامل التاريخية والثقافية المؤثرة في طبيعة النظام التعليمي – الأساس النفعي البراغماتي بتوجيه الدراسات المقارنة لتحقيق غايات نفعية في إصلاح النظام التعليمي

– نيكولاي هانس: تبع منهج كاندل مربين منهم هانس الذي أقام منهجه على أساس أن كثير من البلدان ذات الظروف الثقافية والتاريخية المشتركة تواجه مشكلات مشتركة تستوجب المقارنة، وركز على أن النظم القومية للتعليم تمثل التعبير لشخصية الامة شأنها شأن الدساتير والآداب والفنون وأن هناك مجموعة عوامل تعمل على تكوين الامة المثالية من الناحية التربوية وهي (وحدة الجنس والدين واللغة والأرض والنظام السياسي)

– الألماني فريدريك شنايدر: أكد على شخصية الامة والموقع الجغرافي والثقافة والعلوم والفلسفة وقال أن كل هذه العوامل تصنع المشكلات التربوية الخارجي

– روبرت ارليخ بإمريكا: أرسى مبدأ هاما في دراسة التربية المقارنة وهو ضرورة توافر عناصر مشتركة بين الظواهر التعليمية التي ينبغي دراستها كي يصبح بالإمكان المقارنة بينها.

وانصب الاهتمام لممثلي هذه المرحلة بدرجة كبيرة على توضيح أوجه التشابه والاختلاف بين نظم التعليم استنادا إلى طبيعة العوامل المسببة لها، إلا أنو يؤخذ على كتاب هذه المرحلة مجموعة من نقاط الضعف وهي:

– افتراضهم وجود علاقة قوية بين القوى والعوامل الثقافية ونظم التعليم والأثر المباشر لهذه العوامل في تشكيلها واتخاذ تلك العوامل أساساً لتفسير ذلك، بينما أصبحت تلك العوامل نفسها في الوقت الحاضر موضوعاً للبحث

– اهتمامهم بتحليل العوامل الخارجية والقوى الثقافية أكثر من اهتمامهم بمقارنة العوامل الذاتية المتعلقة بالتربية وأنظمتها ومشكلاتها.

– مغالاتهم في البحث عن الخصائص القومية والتطرف في هذا الاتجاه غير عابئين بأن التربية المقارنة لا تولد إلا في بيئة تؤمن بالإنسانية والتفاهم العالمي بين مختلف الشعوب.

– الاهتمام الكبير لمفكري هذه المرحلة بتفسير النظم والظواهر التعليمية، وتحليل التفاعل بين الظواهر التعليمية و الاجتماعية، وإهمالهم للهدف الأساسي من التربية المقارنة وهو إصلاح التعليم ونظمه.

ثانيا: مرحلة القوى والعوامل المؤثرة في النظام التعليمي(منهج تاريخي):

تعكس السياسة التعليمية الواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه, وهي صدى له, ولذا يتوقف نجاح السياسة التعليمية على عدد من القوى والعوامل السياسة ,والاجتماعية ,والثقافية ,والاقتصادية التي تؤثر في صياغة السياسة التعليمية والتخطيط لتنفيذ موادها, وتحديد مسارات التنفيذ .لان التغيير التربوي لا يأت غالباً من التربويين وحدهم, وإنما من علماء ومصلحين وسياسيين يعملون خارج النظام التعليمي ,مما يعني أن هناك العديد من العوامل المؤثرة في النظام التعليمي والتي تمس حياتنا بأبعادها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية) ,وهذه العوامل تعد مؤشراً بارزا في نجاح النظام من عدمه والعوامل: هي جملة المتغيرات المقصودة وغير المقصودة ,والتي تحدث أثرا إيجابيا او سلبيا في حياتنا بحس تفاعلنا وتعاملنا معها سواءً بالتكييف والتطويع او الاستسلام والركون، وأهم العوامل والقوى الثقافية المؤثرة على التربة والنظم التعميمية هي:

– العوامل التاريخية – العوامل الجغرافية – العوامل الاقتصادية – العوامل السياسية – العوامل الدينية – العوامل العنصرية